الايام التي سنحبس فيها أنفاسنا (٢)
٤/٦/٢٠٢٠
كنا في مقال سابق قد نشرناه منذ حوالي شهرين بعنوان الايام التي سنحبس فيها انفاسنا، على صفحة الماركسية و الناس، قد تطرقنا إلى عشر نقاط أساسية ترسم الثابت في الإستراتيجية الأمريكية في المنطقة، و المناورة الجديدة لها و آفاق تطور هذا الصراع الذي قد يتحول إلى "عفريت" استخدمت الامبريالية كل قواها الجهنمية لاستحضاره و الذي سيفلت من عقاله بعد تحرره. هذا العفريت هو الحرب. (اقتبسنا هذا الوصف من البيان الشيوعي، لغاية في نفسنا سوف نشرحها في نهاية المقال). اما في هذا المقال فسوف نقوم بمتابعة توقعاتنا العلمية لمسار السياسة و الإستراتيجية الأمريكية في المنطقة(و التي أثبتت صحتها في المقالات السابقة، نتيجة الاعتماد على المنهج الماركسي اللينيني العلمي في التحليل، و ليس بناءا على الهوى أو الامنيات) و انعكاس هذا الموضوع عالميا، من خلال بعض معطيات الواقع و خاصة بعد اغتيال الجنرال سليماني و المهندس على يد العصابة التي تهيمن على شريعة الغاب العالمية.
لماذا؟ لأنه لا يمكن بناء سياسة مضادة لهذه البربرية (البربرية بالمعنى الهمجي و ليس بالمعنى العرقي) الرأسمالية دون فهم الثابت و المتغير في الصراع الطبقي العالمي.

١- إن قرار اغتيال شخصية كالجنرال سليماني، يستحيل أن يكون قرار اتخذ على عجل من ترامب أو وزير خارجيته، لأن هذا قرار له بعد استراتيجي و معاهد الدراسات الاستراتيجية الأمريكية قد قدمت في بحث ضرورته لامريكا ابحاثا كبيرة، استندت إليها الدولة العميقة في الولايات المتحدة لأخذ هذا القرار على لسان ترامب. و بالتالي هو قرار استراتيجي أمريكي يندرج ضمن مخطط استراتيجي اكبر.

٢- لا يجب وصف أمريكا بالغباء لأنها تدرك تماما الأخطار التي قد تتعرض لها جراء القيام بهذه الجريمة، و الأصوات التي تخرج هنا وهناك في أمريكا شجباً العملية هي من باب (إضاعة الدم بين القبائل)، و بالتالي تحميل ترامب للمسؤولية و ليس النظام الامريكي ككل. و لا ينخدعن احدٌ بذلك، لأن العداء لإيران ليس وليد حكومة ترامب، بل هذا ثابت في الاستراتيجيات الأمريكية

لكل الحكومات المتعاقبة على البيت الأبيض، بعد الثورة الايرانية و انتقال ايران لموقع المواجهة بدلا من موقع التذيل لامريكا الذي كان يمثله محمد رضا بهلوي.

٣- على الرغم من إدراكها لمخاطر هذه الجريمة فلماذا تقوم أمريكا بهذا التصرف؟
طبعا ليس من باب حماية أمن السفارة الأمريكية في العراق، فهناك قوى عراقية كثيرة عميلة للامريكان، سوف يحمونها برموش أعينهم. ان الدولة العميقة في امريكا واعية لخطر كبير يتهددها، و هو خطر وجودي بمعنى الكلمة، أنها الأزمة الاقتصادية العالمية التي تلوح في الافق، لهذا و كما ذكرنا في المقال السابق، تزداد النزعة الفاشية العسكرية للإمبريالية قبل الازمات، في محاولة لجر العالم إلى حرب عظيمة التكاليف، تُشغل من خلالها الإمبريالية ماكينة إنتاجها المهددة بالتوقف و بالتالي توقف قلب الرأسمالية عن الخفقان. يقول ماركس الحرب هي رئة الرأسمالية الثانية. و بالتالي عند خطر توقف الأولى يجب تشغيل الثانية و الا الموت. و أن هذه المجازفة الأمريكية سوف تتكلل بالنجاح، اذا قام الطرف المعادي لها بالرد المتوقع من قبل الأمريكان.

٤- ايران خلال ٤٠ عاما من الصراع مع القوى الإمبريالية العالمية، قد بنت لنفسها استراتيجية تحت النار، تقوم على المبدأ التالي: أفضل سبيل للدفاع عن الاستقلال هو التطور العلمي و قض مضاجع العدو اينما وجد في المنطقة، و اللعب على تناقضات القوى العظمة. وهذا اسلوب يتم تدريسه حاليا في معاهد الدراسات الاستراتيجية. فالتطور العلمي في ايران مشهود له و به، من الاقمار الاصطناعية إلى الهندسة العكسية، إلى تقنية النانو، و الاستنساخ، و الطاقة النووية و الخ من مجالات التطور العلمي.

٥- سعت هذه الدولة منذ تغير نظامها، إلى محاربة الخطر الحقيقي على اي استقلال في المنطقة، و هي إسرائيل و من خلفها الإدارات الامريكية، فقامت بتشكيل جسم عسكري و سياسي و امني، يقوم بضرب مصالح هؤلاء الأعداء خارج حدود ايران، سُمّي بفيلق القدس التابع للحرس الثوري الايراني، و بالفعل بداء بضرب مصالح إسرائيل ابتداءاً في لبنان في أوائل الثمانينيات من القرن الماضي، عن طريق تمويله للمقاومة و تدريبه، و تغطيته السياسية لها. و بعدها

الى فلسطين. رغم تعرض ايران في حينها لعدان سافل من قبل نظام صدام حسين، دام ٨ سنوات، بطلب و دعم و تمويل مفتوح من أمريكا و السعودية، أسفرت عن نتائج كلكم يعرفها، (و هذا ما نسميه رسم استراتيجية تحت النار).

٦- قبل الاجتياح الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣، التقى قاسم سليماني مع مسعود البرازاني، و طلب منه عدم تسهيل دخول أمريكا إلى العراق، و قال جملته الشهيرة وقتها، التعامل مع صدام ضعيف اسهل بكثير من التعامل مع أمريكا قوية في المنطقة. طبعا البرازاني رفض هذا الطرح!، و بالفعل اتخذ قرار ايراني سوري آنذاك، اعلنه الرئيس السوري بشار الاسد، في القمة العربية في شرم الشيخ ٢٠٠٣، بان العراق لن يقاتل وحيدا. و من يفهم قليلا بالسياسة يعرف ابعاد هذا التصريح.
و بالفعل باشرت ايران (فيلق القدس) و سوريا بتمويل المقاومة العراقية، و التي للمصادفة، لم تنطلق من قوى " شيعية" بل من الفلوجة " السنية" لعلكم تفقهون!
و زادت من تمويلها و دعمها، للمقاومة اللبنانية و الفلسطينية، و مولت و دعمت مقاتلي طالبان في شرقي ايران، لنفس السبب: قض مضاجع العدو حيث يوجد في المنطقة. تكلل ذلك بنصر تموز عام ٢٠٠٦ ضد الغزو الإسرائيلي للبنان،(طبعا سينبري البعض الآن ليقول لنا اي نصر هذا؟ نقول لهم أن عدم تحقيق العدو لاهدافه، و عدم قدرته على احتلال شبر جديد و التبادل المشرف للأسرى، و بالمقارنة مع التاريخ المخجل لبعض العرب في الصراع مع اسرائيل يعتبر اكثر من مجرد نصر اقليمي بل له بعد عالمي ايضا)، و بانسحاب القوات الامريكية من العراق عام ٢٠١١(و هذا لا يعني خسارة الحرب في العراق، و لكنه إنجاز ما كان ليتحقق لولا المقاومة العراقية و من دعمها)، و سحق داعش في سوريا و العراق بعد ذلك، و صمود غزة و تطور قدراتها الصاروخية المضطرد.

٧- أرست ايران و حلفائها في المنطقة قواعد رادعة للاعتداءات الإمبريالية المباشرة، نتيجة تراكم عمل حثيث و خبرات و تضحيات كبيرة في مواجهتها هي و أدواتها من داعش و النصرة و كل من لف لفيفهم، وهذا إنجاز يعرفه الأمريكي جيدا، و يعرف كيف أن ايران و حلفاءها استفادوا من التناقضات بين الإمبريالية الأمريكية و بين الأقطاب الإمبريالية الصاعدة حاليا (الصين و

روسيا)، و المناورات البحرية المشتركة التي جرت مؤخرا ارسلت إشارة إلى أن ايران لم تعد تصطف في محور سياسي و اقتصادي معادي أو منافس لامريكا بل أصبحت داخل محور عسكري، يستعرض عضلاته في خليج عمان، على بعد بضع الكيلومترات من الأسطول الخامس الأمريكي و كل ما يمثله من نفوذ.

٨- كل ذلك كان بمشاركة كاملة أو جزئية من الجنرال سليماني، و التي أثبتت ايران مباشرةً بعد اغتياله أنها دولة مؤسسات بامتياز، تعتز برموزها و لكن لا تسقط المؤسسات بسقوط قادتها، ودليل على ذلك، سرعة تعين خلف له، هو نائبه الجنرال اسماعيل قاآني، و الحديث دائر بكثافة غير مسبوقة الآن عن الية الرد الايراني و من خلفها القطب المتحالف معها، على هذا الإعلان الأمريكي المباشر للحرب، و الذي يذكرنا باغتيال (فرانز فرديناند) الذي اشتعلت على أثره الحرب العالمية الاولى، و التي نعتقد أن المخططين الاستراتيجين و العسكريين في ايران و حلفاءها الاقليميين و العالميين، سيبحثون عن الرد الغير متوقع من قبل الإمبريالية الامريكية، الرد الذي سيفشل كل ما تخطط له أمريكا بناءا على ردة الفعل الايرانية المتوقعة. و نستند في ذلك إلى دراستنا للسياسة الايرانية و قدرتها في تدوير زوايا الصراع للحصول على غايتها، دون إظهار ضعف أو جبن، بل بلغة السيف و الدرع.

٩- خاتمة :
لا شك أن اغتيال شخصية كالجنرال سليماني و في العراق و التبني الصريح و السريع لامريكا له، لن يكون مجرد حدث عابر في تاريخ المنطقة، و أن تطور الأحداث القادمة ستثبت ذلك، فهذا الشخص كان مشاركا بشكل مباشر في قيادة كل النكسات الأمريكية في المنطقة، و نحن ندرك أن طرفي الصراع ليسا احمقين، و لا تأخذها الرؤوس الحامية إلى المجازفة، إلا عندما يصل التناقض بينهما إلى حده المعياري، اي لا يمكن التعايش السلمي بينهما. و أمريكا استبقت رمي عود الثقاب على برميل البارود لسببين هما:
اولا: في نظرة تاريخية لتطور حلفاء ايران و صعودهم في المنطقة، أدركت أمريكا انهم بدأوا ، من الصفر و الآن نحن في حالة توازي ردع بيننا و بينهم، فما بالك بعد.بضع سنوات؟ اي ان حلفاء أمريكا سيتحولون بشكل تراكمي و دراماتيكي ما موقع الهجوم إلى موقع الدفاع، حيث أن الخط البياني للمحور

المعادي لامريكا في تصاعد، و الخط البياني لتفاقم الأزمة الاقتصادية العالمية للرأسمالية في تصاعد ايضا.
ثانياً: فشلت محاولة تفجير المنطقة شعبيا و تحوير انتفاضات الجماهير المسحوقة جراء الفساد و النيوليبرالية و أنظمة المحاصصة (و التي يعود السبب الرئيسي في خلقها للنفوذ الامريكي ، كإتفاق الطائف في لبنان، و دستور بريمر في العراق) الى تقويض الحاضنة الشعبية للقوى المتحالفة مع ايران، كما أشرنا في المقال السابق، و بالتالي عند فشل البديل يأتي الاصيل. و رسمت سياسة لها قائمة على احتمالات الرد الايراني، و بالتالي جر المنطقة لحرب هي تختارها و تختار توقيتها و تكون بذلك قد ابعدت شبح الأزمة الاقتصادية عنها إلى حين .

١٠- أن اي فعل أو ردة فعل الآن سيكون لها تداعيات عالمية، تتجاوز حدودها منطقة شرق المتوسط و وسط آسيا الغربية، و ستؤدي إلى انهيار عروش و سقوط أنظمة، ابتداءأ من منطقتنا وصولا إلى أمريكا اللاتينية. فمنع الإمبريالية من القيام بحرب شاملة و تدمير مصالحها في المنطقة في نفس الوقت، يجب أن تكون الأطر العملية لأي رد على هذه الجريمة، و لأي استراتيجية يجب أن ترسم من قبل الدول و الأحزاب و القوى المعادية لامريكا. فالشعار يجب أن يكون، لا حرب شاملة و لا نفوذ أمريكي في وسط و غرب أسيا بعد اليوم. بما في ذلك مضاعفة العمل على إنهاء التهديد الصهيوني.
فلنسعى بشكل صحيح لإيقاف رئة الإمبريالية الثانية، و ننتظر توقف رئتها الأولى تلقائيا، قد يكون الصراع على التحرر الوطني هو على أشده في منطقتنا، و بين اقوى حلقاته، و نحن متأكدون أن بداية تحطيم الرأسمالية و استبدالها بالاشتراكية سوف تبدأ في الحلقات الأضعف للراسمالية، و الأقوى لتنظيم الطبقة العاملة (كامريكا اللاتينية)، في حال هزمت امريكا في الشرق.
اي هزيمة لرأس الإمبريالية في العالم هو نصر لنا نحن أعداءها الطبقيين في باقي بقاع الأرض. و هذه هي البوصلة.
عزاءنا لذوي كل ضحايا الصراع مع الامبريالية.

بقلم: ضحى حديفة، ضياء العبدالله، عمرو حديفة.